

الإخوان

فوزى أسعد نقيطي^(١)

اجتاحت شبه الجزيرة العربية، في الفترة من ١٩١٢م - ١٩٣٠م حركة دينية عرفت بحركة الإخوان. تشكلت نواتها بجوار آبار «الأرطاوية» التي تقع في أراضي قبيلة «مطير» على طريق القوافل بين الكويت والقصيم^(٢).

كانت الحركة عند نشأتها، دينية محضة^(٣) إذ كان أعضاؤها يعبرون عن أنفسهم بأنهم: «أهل التوحيد.. إخوان من طاع (أطاع) الله»^(٤).

كما أطلقوا اسم «الهجرة» على الأرطاوية أي الهجرة إلى الله^(٥) أو أنهم هجروا الحياة القديمة المكروهة إلى حياة أخرى طيبة^(٦) عاكفين على تعلم مبادئ القراءة، وحفظ شيء من القرآن الكريم والحديث^(٧) ويعرف عبد الله القصيمي الإخوان بأنهم «هم الأعراب الذين عشقوا الدين وسكنوا القرى بدلا من الخيام المتنقلة»^(٨).

وكما لاحظ المستر سانت جون فيلبي، الذي أمضى في البلاد السعودية ما يربو على ٤٠ عاماً، فإن القبائل أخذت تقلد بعضها في ترك حياة البادية، الأمر الذي أدى إلى انتشار «الهجرة» بسرعة مذهلة^(٩) في قلب نجد ذاتها، وبالقرب من الحدود مع الحجاز غرباً، وفي منطقة قبائل شمر، والرولة حتى الحدود الأردنية شمالاً، وعلى حافة الربع الخالي جنوباً، وبالقرب من إمارة قطر شرقاً^(١٠) حتى بلغ عددها ٢٢٠ هجرة^(١١).

(١) دكتوراه في التاريخ الحديث المعاصر - كلية الآداب - جامعة القاهرة.

(٢) Dickson, H.R.P., Kuwait and her Neighbours, PP. 145.

أمين الريحاني، ملوك العرب، ص ٥٧٤.

(٣) Izzard, Molly, The Gulf, PP. 62.

(٤) أمين الريحاني، نفس المرجع. (-) الموسوعة الميسرة.

(٥) أمين الريحاني، تاريخ نجد، ص ٢٦١.

(٦) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٥٧٣.

(٧) نفس المرجع.

(٨) عبد الله القصيمي، الثورة الوهابية، ص ٥٥.

(٩) Philby, H.ST. J. B., Saudi Arabia, PP. 261 - 262.

(١٠) Habib, John, Ibn Saud warriors of Islam, PP. 58.

(١١) Ibid.

ابن سعود وحركة الإخوان:

ليس صحيحاً ما ذكره عبد العزيز التويجري، وكيل الحرس الوطني، من أن ابن سعود هو الذى أسس حركة الإخوان، وأنه هو الذى أطلق عليها تلك التسمية^(١) بدليل أن الكابتن «شكسبير» Shakespear الوكيل السياسى فى الكويت، الذى زار ابن سعود، فى الرياض عام ١٩١٥م، واشترك معه فى معركة «جراب» ضد ابن رشيد، لم يذكر شيئاً فى تقريره عن تلك الحركة^(٢).

كما أن المستر فيلبى، لم يذكر فى أى من مؤلفاته العديدة، أو فى تقاريره لحكومته أى دور لابن سعود فى إنشاء تلك الحركة.

أما الميجور «ديكسون» Dickson، الوكيل البريطانى السياسى فى البحرين، والذى زار ابن سعود فى الفترة من ٢٩ يناير إلى ٢٠ فبراير ١٩٢٠م، فقد كتب إلى مرجعه فى بغداد تقريراً بعنوان: «ملاحظات عن حركة الإخوان» جاء فيه: «إن ابن سعود لم يكن المؤسس الحقيقى لحركة الإخوان، وأن الزعيم الأعلى للحركة هو الشيخ عبد الكريم المغربى (أحد تلاميذ جمال الدين الأفغانى)^(٣) الذى كان رئيساً للعلماء فى عهد «فالح باشا السعدون» شيخ «المنتفق»^(٤) ثم أصبح أحد علماء «خزعل باشا» والد الشيخ إبراهيم بك السعدون إلا إنه ترك خدمة خزعل وذهب إلى نجد، حيث استقر به المقام فى قرية الأرتاوية، حيث نشأت الحركة عام ١٩١٢م».

وأشار التقرير إلى علاقة ابن سعود بحركة الإخوان بقوله: «إن ابن سعود، وقد أدرك فى أوائل عام ١٩١٦م أن اليد الطولى فى شئون نجد قد أصبحت للإخوان لم يكن أمامه سوى حلين:

(أ) إما أن يكون حاكماً زمنياً فيجابه الإخوان.

(ب) أو يحتوى الحركة، بأن يكون زعيمها الروحى، فاختر الحل الثانى خوفاً على نفسه من السقوط، على أن يقوم بتحويلها عن أهدافها الدينية لتخدم أهدافه السياسية..

(١) عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري، لسراة الليل هتف الصباح، ص ٢٠٠.

(٢) Lacey, The Kingdom, PP. 142.

(٣) د. عبادة كحيلية، لقاء فى الجمعية التاريخية، ديسمبر ٢٠٠٩م.

(٤) اسم يطلق على القبائل العراقية التى تقم فى القسم الجنوبى لنهر الفرات.

وعلى هذه الخلفية أصدر ابن سعود أمره الشهير بانخراط جميع القبائل، شاءت أم أبى، فى صفوف حركة الإخوان، وأن تدفع له الزكاة بصفته الإمام الشرعى، بل إنه هدد باستخدام القوة ضد أية قبيلة تمتنع عن دفعها^(١).

وتحدث ديكسون عن طريقة ابن سعود فى استقطاب العشائر وضمهم إلى الإخوان فقال: «كان يستدعى شيخ العشيرة ليقول له صراحة بأن عشيرته لا دين لها.. وإن كل أفراد عشيرته «جهلة» ثم يأمر الشيخ بالحضور إلى مدرسة العلماء بالمسجد الكبير فى الرياض، حيث يتلقى سلسلة من الدروس الدينية، وفى ذات الوقت يكلف عددًا من العلماء المتعصبين (المطاوعة)، بالتوجه إلى عشيرة الشيخ لإلقاء الدروس الدينية على أفرادها بالمفاهيم الوهابية، بهدف إثارة التعصب الكامن فى نفوسهم، وإقناعهم بأن ابن سعود هو الإمام، والأب، والشيخ، والزعيم الروحى لهم فى آن واحد».

«وكان هؤلاء المطاوعة، الذين يفرضون لبس العمامة البيضاء على الأفراد المنضمين لحركة الإخوان، يرسخون فى أذهانهم بأنهم، هم فقط المسلمون الحقيقيون وأن المسلمين الآخرين كفار.. كما كانوا يحرصون على إفهام «الأخ» بالأى يرد السلام إلا لأخ مثله... وإذا ما رأى أحداً غير زملائه من الإخوان، فإن عليه أن يغطى وجهه بيده حتى لا يدنسه منظر الشخص الغريب».

«كما كان هؤلاء المطاوعة يحاولون إقناع أفراد العشيرة بأن الله هو كل شىء، أما محمد (ص) فليس سوى رجل نادى بكلمة الله... وأنه مات وذهب، ولم يبق له معنى إلا أن يذكر اسمه باحترام».

ويمضى ديكسون فيقول: «كان ابن سعود، من جانبه، يحاول إقناع جماعة الإخوان بأنه «محمد ثان» أو «المهدى» أو البطل الأوحى الذى يدافع عن الإسلام»^(٢) ولهذا تخلى ابن سعود عن لقب «الأمير» وسمى نفسه «إماما»^(٣).

كما حاول جاهداً إخفاء علاقاته ببريطانيا التى وقع معها فى ٢٦ ديسمبر ١٩١٥ م اتفاقية «دارين» التى تعهد فيها بالأى يقيم علاقات مع دولة أخرى، والأى يبيع، أو يرهن

FO. 371/ 5062 - E 289/ 9/ 44.

(١)

الجزيرة العربية فى الوثائق البريطانية، المجلد الخامس، ص ١٤٥ - ١٤٩.

(٢) L/ P & S/ 10/ 391. (-) المجلد الخامس، ص ١١٧ - ١١٨.

(٣) PFO. 371/ 5062 - E 6289/ 9/ 44. (-) نفس المجلد، ص ١٥٠ - ١٥١.

شيئاً، وألا يعطى امتيازات لدولة أخرى إلا بعد موافقة الحكومة البريطانية، مقابل حمايتها له، ومنحه مساعدة مالية مقدارها ٥,٠٠٠ جنيه إسترليني شهرياً^(١).

ومما قاله ديكسون في هذا الصدد: إن ابن سعود كان يعتمد مهاجمة الأجانب أمام شيوخ وزعماء الإخوان، ولقد قال في حضوري ذات مرة «إن المساعدات الشهرية التي تقدمها له الحكومة البريطانية، ومقدارها ٧٥,٠٠٠ روبية، والتي حملت قسماً منها إليه، هي جزية يدفعها له المسيحيون.. ولقد حذرني أمام الحضور من أن التدخين محرم، ومع ذلك، بعث لي في المساء علبتين من أفخر السجائر المصرية طالباً مني أن أدخلها داخل حجرتي». وبالجملة، فإن ابن سعود - والكلام على لسان ديكسون - كان يحاول قدر استطاعته إحاطة علاقاته بالإنجليز بغلاف كثيف من السرية تحاشياً لثورتهم ضده، أو فقدان تعاونهم معه على الأقل^(٢).

ويضيف المستر فيليبى إلى ما سبق، بأنه لما أراد السفر في نوفمبر ١٩١٧م إلى الرياض للقاء ابن سعود، فإنه لم يذهب إليها مباشرة، بل ذهب إلى البحرين أولاً، ثم استقل مركباً شراعياً إلى ميناء «العقير» حيث مكث بعض الوقت في قصر الأمير «عبد الله بن جلي» في الأحساء، حيث خلع ملابسه الغربية وتخلص من كل شيء يدل على أنه غريب، ثم ارتدى الملابس العربية: الثوب، والغترة الحمراء (الشماغ) ثم ركب ناقته يوم ٢٢ نوفمبر واتجه إلى الرياض التي وصلها يوم ٣٠ منه^(٣).

والواقع، فإن ذلك اليوم يعد علامة فارقة في تاريخ حركة الإخوان، بل وتاريخ شبه الجزيرة العربية كلها.

وربما كان الكاتب الفرنسي «جان جاك بيربي» على حق لما قال: «إن مغامرة لورانس تعد مهزلة إزاء الدور الفريد الذي لعبه سنت جون فيليبى على مدار ٣٨ عاماً أمضاها في رسم الخطوط العريضة للسياسة السعودية»^(٤).

(١) (5353) FO. 371/ 2479 (-) حافظ وهبه، نفس المرجع، ص ٣٠٦ - ٣٠٧.

(٢) Dickson, Ibid, P. 153, 249.

(٣) Philby, Arabian Days, PP. 146.

_____. Arabian Jubilee, PP. 54.

L/ P & S/ 10/ 390

الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، المجلد الثالث، ص ٧٠٩.

(٤) جان جاك بيربي، الخليج العربي، ص ١٤٠ - ١٤١.

دور سنت جون فيليبى فى عسكرة الإخوان:

كان هدف فيليبى من سفره إلى الرياض، كما قال هو شخصياً: «حث ابن سعود على شن هجمات عسكرية ضد «حائل» بهدف إسقاط ابن الرشيد واحتلالها»^(١). وكتب تقريراً مطولاً لمرجه، الكولونيل «أرنولد ويلسون» القائم بأعمال المفوض المدنى فى العراق، بعد وصوله الرياض قال فيه: «إن الدخل السنوى لا يتعدى ١٠٠,٠٠٠ جنيه، بالإضافة إلى مساعدات الحكومة البريطانية، ومقدارها ٦٠,٠٠٠ جنيه سنوياً، وهو مبلغ لا يكفى للصرف على هجرة الإخوان، وشيوخ القبائل». وطالب فيليبى فى تقريره «بزيادة المساعدات إلى ٥٠,٠٠٠ شهرياً، وإرسال ٨ مدافع، مع ١٠٠,٠٠٠ بندقية حديثة بذخيرتها، مع مدربين للمدافع، وكذلك تزويد ابن سعود بمبلغ قدره ٢٠,٠٠٠ جنيه، كى يتمكن من شراء الدواب اللازمة لنقل الأسلحة، والذخائر والأفراد». مؤكداً على «أنه فى حالة وصول المطلوب من المال والأسلحة فإن «الجيش الوهابى» سيكون مستعداً للزحف على حائل فى شهر أبريل ١٩١٨م، وذلك طبقاً لتعهد ابن سعود نفسه»^(٢). ولأن نجاح معارك الإخوان يعتمد على إخفاء علاقة ابن سعود بالإنجليز، فلقد كتب فيليبى إلى مرجه ينصحه «بأن يكون التمثيل الدبلوماسى فى الرياض غير مرئى، وأن يكون متقطعاً، وأن يرتدى أفراد البعثة الدبلوماسية ملابس السكان المحليين، والإذعان للقيود المفروضة على الاتصالات الاجتماعية حتى وإن كانت مثيرة للإزعاج»^(٣). ولذلك، فإن فيليبى لم يرافق حملة الإخوان التى اتجهت إلى حائل يوم ٥ أغسطس ١٩١٨م، رغم إجادته اللغة العربية^(٤) وقدرته على تقمص الشخصية النجدية^(٥) واكتفى بمراقبة المعارك من أماكن مرتفعة، قريبة منها، على حد قوله^(٦).

Philby, Ibid, P. 58 – 65. (١)

_____, P. 56 – 58. (٢)

(-) Arabian Days, P. 153 – 154. (-) L/ P & S/ 10/ 390.

الجزيرة العربية فى الوثائق البريطانية، المجلد الثالث، ص ٧٤٥ – ٧٤٩، ٧٦٤.

L/ P & S/ 10/ 390. (٣)

الجزيرة العربية فى الوثائق البريطانية، المجلد الثالث، ص ٧٨٠.

(٤) رسائل بن جوربون، ترجمة الأميرة دينا عبد الحميد، ص ١٠٩.

Philby, Arabian Days, P. 157 – 162. (٥)

_____, P. 170. (٦)

ومما قاله فى رسالة إلى زوجته «دارا» حول تلك الحملة: «من المثير للأسى ألا أكون مع حملتى الخاصة My own Campaign التى استغرق إعدادها عشرة أشهر كاملة حتى بلغت درجة عالية من الكفاءة»^(١).

وتقديرًا منه لهذا الجهد، كتب ابن سعود رسالة إلى الكولونيل ويلسون، بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩١٨م قال فيها: «إن فيلبى من أفضل الممثلين لتنفيذ سياسة ومخططات صاحب الجلالة الإمبراطور، والحكومة البريطانية وأنا جد شاكر له، ومقدر للتعب الذى تجشمه لإزالة مصاعبنا»^(٢).

وكتب رسالة للمستتر فيلبى، بنفس التاريخ جاء فيها: «بعد تقديم أطيب التحيات والاحترامات... أنت مثلنا أمام أعيننا فى كل الظروف وكل الأعمال... أنت بالنسبة لنا كالروح من الجسم، ولنا كل الثقة فىك بعد الله، أنت وكيلنا الوحيد ولا نستطيع أن نعارضك مهما كانت الظروف»^(٣).

ومن جانبه، فإن فيلبى يعتبر ابن سعود «رجل القدر فى الجزيرة العربية» Arabia's Man of destiny على حد تعبيره^(٤) وأن الكابتن «شكسبير» والكلام لا يزال له: «لو لم يُقتل وهو يقوم بتوجيه المدافع السعودية ضد قوات ابن الرشيد (٢٤ يناير ١٩١٥م) لكان الموجه للثورة العربية بدلا من لورانس، وكان ابن سعود هو الذى قام بها بحافز من حكومة الهند بدلا من الملك حسين، وأنه - فيلبى - يعتبر نفسه خليفة شكسبير»^(٥).

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن نظام السيطرة الذى وضعته لندن منذ قيام الحرب العالمية الأولى كان يقضى بأن تتبع العراق، ونجد، وحایل، وعدن، حكومة الهند، أما الحجاز فيتبع وزارة الخارجية بواسطة المندوب السامى فى القاهرة^(٦).

(١) Monroe, Elizabeth, Philby of Arabia, PP. 80 - 81.

(٢) FO. 371/ 4145, Dec. 1, 1918.

الجزيرة العربية فى الوثائق البريطانية، نفس المجلد، ص ٨٢٦ - ٨٢٧.

(٣) L/ P & S/ 10/ 390.

نفس المجلد، ص ٧٦٤.

(٤) Philby, Arabian Jubilee, P. 68.

(٥) _____, Arabian Days, P. 157 - 158.

(٦) FO. 371/ 5255 - E 8470/ 44.

الجزيرة العربية فى المصادر البريطانية، المجلد الخامس، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

وكانت حكومة الهند حكومة موازية لحكومة لندن، ويرأسها وزير بدرجة نائب للملك Vice Roy، وكان لديها خططها الخاصة بها لتأمين مصالحها، وكانت تعارض ما كان يجرى من مفاوضات بين الشريف حسين ومكماهون حول مستقبل البلاد العربية^(١). من ذلك احتجاجها لدى الخارجية «لأن حرية التصرف التي منحت للسفير مكماهون قد مورست دونما اعتبار لمصالح الهند»^(٢).

لهذا أخذت تعمل بكل ما وسعها الجهد لإبراز ابن سعود وإسقاط الملك حسين^(٣). وهكذا التقت مخططات حكومة الهند مع طموحات المستر فيلبي، واندفاع ابن سعود لاستعادة ما أسماه «أملاك أجداده»^(٤).

وبناءً عليه، تحولت هجر الإخوان إلى معسكرات حربية ولتشكل حركة الإخوان، في مجموعها، جيشاً دائماً وثابتاً^(٥) والكلام دائماً للمستر فيلبي.

ومما ذكره الميجور ديكسون في تقرير له بتاريخ ٥ مارس ١٩٢٠م بعد زيارته لابن سعود: «إن قوة ابن سعود تقوم على الإخوان، الذين يربو عددهم على ٣٠٠,٠٠٠ مقاتل، وأنه بإمكانه أن يستدعى هؤلاء المقاتلين في وقت قصير لا يصدق، خاصة إذا كانت الحرب جهاداً كما في حالة الحرب ضد الشريف»^(٦) (حسين).

دور الإخوان في إخضاع أقاليم شبه الجزيرة العربية

وصف عبد الله القصيمي الإخوان «بأنهم عفاريت مرسله.. وأنهم لو كانوا أفضل تنظيمًا لما استطاعت أية قوة، مهما بلغت من العظمة، أن تقف في سبيلهم»^(٧).

FO. 371/ 2486, Nov. 6, 1915.

(١)

نفس المجلد، ص ٥٨٨.

Ibid.

(٢)

(٣) د. محمد علي الداود، الخليج العربي والعلاقات الدولية، ج ١، ص ٩.

(٤) مجلة صوت الطليعة، عدد ديسمبر ١٩٧٣م، ص ١٥.

Philby, Arabian Jubilee, P. 28.

(٥)

بنواميثان، عبد العزيز آل سعود، ترجمة عبد الفتاح ياسين، ص ١٢٧.

FO. 371/ 5062 – E 6289/ 9/ 44.

(٦)

نفس المجلد، ص ١٥٥.

(٧) عبد الله القصيمي، نفس المرجع، ص ٥٤.

وعلى أرض الواقع ، فإن هجمات الإخوان ضد جيران إمارة نجد لم تتوقف في جميع الاتجاهات .

لقد تحولوا من الهجوم على حائل ، في أغسطس ١٩١٨م ، إلى الهجوم على «تريه والخرمة» غرباً في مايو ١٩١٩م^(١) ، حيث قاموا بهجوم ليلي صاعق ، أبادوا فيه القوات الحجازية بأكملها ، ثم اتجهوا جنوباً عام ١٩٢٠م واحتلوا مرتفعات عسير^(٢) ومنها إلى حائل مرة أخرى ، في أقصى الشمال ، حيث تم احتلالها في نوفمبر ١٩٢١م^(٣) ثم الهجوم على منطقة الجرف ، ووادي السرحان ، وسكاكة ، وقريات الملح ، عام ١٩٢٢م^(٤) . وفي أواخر هذا العام اتجهوا جنوباً حيث استولوا على إقليم عسير بأكمله^(٥) وهكذا تم حصار الحجاز من كافة الاتجاهات .

ولا يحتاج المرء إلى أية أدلة كي يدرك أن ضابط المخابرات البريطاني فيلبي^(٦) هو العقل المدبر ، وهو الذي وضع خطط تلك الهجمات وهو الذي حدد مراحلها . فهو يذكر على الصفحة ٨٧ من كتابه «أيام عربية» Arabian Days أنه هو الذي طلب من ابن سعود أن يكون الهجوم على حائل قبل الحجاز ، ويكاد يقول في كتابه «أربعون عاماً في الصحراء» Forty Years in the Wilderness أنه هو الذي قام بتقويض الحكم الهاشمي في الحجاز .

لقد كانت خطة الهجوم على الحجاز تتكون من ثلاثة محاور :
محور رئيسي اتجه إلى الحجاز وتشكل من ٣٠ لواء .
محور آخر اتجه إلى الحدود الأردنية .
محور ثالث اتجه إلى الحدود العراقية .
وكانت مهمة المحورين الأخيرين منع الأمير عبد الله ، والملك فيصل من تقديم المساعدات لوالديهما^(٧) وذلك حسب توضيح المستر فيلبي نفسه .

FO. 686/ 17 (540) May 29.1919. (١)

Philby, Saudi Arabia, P. 280. (٢)

(٣) فؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب ، ص ٣٨٦ .

_____ , P. 285. (٤)

(٥) خير الدين الزركلي ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود ، ج ١ ، ص ٢٥١ .

(٦) ناصر الدين النشاشيبي ، ماذا جرى في الشرق الأوسط ، ص ١٦٤ .

(٧) P. 287. _____ بنوا ميشان ، نفس المرجع ، ص ١٧٠ .

واللافت أن الحجاز كان أكثر الأقاليم تعرضاً لعنف الإخوان.
فوصف أمين الريحاني، الذي كان موجوداً وقتها بحجة الوساطة بين الملك حسين
وابن سعود، وصف دخول الإخوان الطائف، يوم ٧ سبتمبر ١٩٢٤م «بأنهم كانوا كالسيل
الجارف.. لقد كانت ساعة الهول والفجع»^(١).
كما تحدث الرحالة «كينيث وليامز» عن «الأفعال اللاإنسانية التي ارتكبتها الإخوان،
وذبحهم للنساء والشيوخ والأطفال»^(٢).

لقد سقط ١٠٧٠ شهيد، لا يزال عبد الله عبد الجبار، الكاتب السعودي البارز، يحتفظ
بأسمائهم^(٣) عدا الضحايا الذين ماتوا من الجوع والعطش أثناء هروبهم في اتجاه مكة
التماساً للنجاة^(٤).

ومما ضاعف حجم الكارثة أن الطائف، وقتها، كان مزدحماً بالمصطافين خاصة المكيين،
فكأنما أراد فيلبي خلق حالة من الهلع والرعب في مكة نفسها حتى تسلم بدون قتال،
تفادياً لإثارة العالم الإسلامي.

وفي ذلك يقول فيلبي نفسه: «إن مذبحه الطائف على يد الإخوان جعلت من سقوط
مكة أمراً مفروغاً منه، كما أن سكان جدة أخذوا يرتعدون خوفاً مما يمكن أن يحمله إليهم
القدر.. ولما وصلت إلى مسامعي أنباء توقع احتلال مكة في كل لحظة تفاعلت كثيراً لأن من
شأن ذلك أن يمكن ابن سعود من دخولها والإشراف بنفسه على الأوضاع في الحجاز»^(٥).
وهنا لا بد من الإشارة إلى هذه الحقيقة: وهي أن بريطانيا قد قررت زوال عرش الحسين
في الحجاز بعد رفضه التوقيع على معاهدة قدمها له لورانس في صيف عام ١٩٢١م، لضمان
المساعدة والحماية له مقابل الاعتراف بالانتداب على العراق، وفلسطين، وشرق الأردن^(٦).
وبشهادة فيلبي نفسه، فإن الملك حسين رفض رفضاً قاطعاً الاعتراف بسياسة الوطن القومي
لليهود في فلسطين وهو الأمر الذي كان الإنجليز يسعون لتحقيقه من المعاهدة^(٧) «ولما لم تجد

(١) أمين الريحاني، نفس المرجع، ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٢) كينيث وليامز، ابن سعود، ترجمة كامل صموئيل مسيحة، ص ١٣٧.

(٣) عبد الله عبد الجبار، التيارات الأدبية الحديثة، ص ٩٩.

(٤) كينيث وليامز، نفس المرجع، ص ١٣٧.

(٥) Philby, forty years in the wilderness, PP. 111 - 112.

(٦) قدرى قلعجي، الثورة العربية الكبرى، ص ٤٢٨ - ٤٢٩.

(٧) Philby, forty years in the wilderness, P. 107 - 108.

الرشوة والتهديد في زحزحة الرجل العجوز» عن موقفه المعارض لسياستنا والكلام لا يزال للمستتر فيلبي: «فإن لورانس، وبعد أن أحس باليأس غادر جدة، بعد أن أوصى الحكومة البريطانية بقطع المساعدات عن الحجاز، والتخلي عن الحسين ليبنى ثمار تصلبه وعناده»^(١). ولم يشأ فيلبي أن يكمل باقى التوصية التى أبلغها لورانس للخارجية فى لندن، فى برقيته يوم ١١ سبتمبر ١٩٢١م والتى جاء فيها: «إن الحسين يشعر بأنه محصن فى مكة.. إنى أنصح بوقف المساعدات عنه، ومحاصرة موائى الحجاز، وإطلاق ابن سعود عليه Loosing Ibn Saud on him»^(٢).

وكان ابن سعود، أو السير الشيخ عبد العزيز^(٣) المتحفز للانقراض يكن كراهية شديدة للحجاز والحجازيين بسبب مساندتهم للحملة المصرية على نجد عام ١٨١١م - ١٨١٨م حيث دمر إبراهيم باشا، الدرعية عاصمة أجداده^(٤). ولقد نقل فيلبي عنه قوله: «إنه يفضل المسيحيين على الحجازيين والأترك، فالمسيحيون أهل كتاب، وأقل ضللا منهم»^(٥). ويضيف جورج كيرك إلى ذلك، أن ابن سعود كان لا يرى فى مكة والمدينة سوى مدينتين لعبادة هرطقية»^(٦).

ولأن الإخوان يطيعون إمامهم طاعة عمياء^(٧) فإن ابن سعود لم يجد صعوبة فى إقناعهم بأن الحجازيين أقل استحقاقاً للرحمة من المسيحيين واليهود^(٨). وفى هذا السياق يقول حافظ وهبه: «إن ابن سعود لما عرض على الإخوان مسألة غزو الحجاز هشوا وبشوا للمشروع لأنهم سيظهرون بيت الله من البدع وينشرون دين الله الصحيح»^(٩).

Philby, Arabian Days, P. 228. (١)

FO. 686 /93 /103 /36, Sept. 11, 1921. (٢)

FO. 371/ 4147, June 27, 1919.(-) FO. 371/ 1686, Aug, 1919. (٣)

Kelly, J. B. Arabia; The Gulf and the west, PP. 229. (٤)

Monroe, Elizabeth, Ibid, P. 60. (٥)

Kirk, E. George, A Short History of the Middles East, PP. 160. (٦)

Dickson, Ibid, P. 154. (٧)

(٨) أرنولد ويلسون، الخليج العربى، ترجمة د. عبد القادر يوسف، ص ٣٢٦.

(٩) حافظ وهبه، نفس المرجع، ص ٢٥٢.

وفى رسالته لأمين الريحاني، وصف ابن سعود الحرب بينه وبين الملك حسين بأنها حرب بين «حزب الرحمن» و«حزب الشيطان»^(١) ولهذا كانت عبارة التشجيع على القتال بين الإخوان هي: «هبت هبوب الجنة وبنك (أين أنت) يا باغيها»^(٢).

وجاء فى تقرير السير «بولارد» Bullard الوزير البريطانى المفوض فى جدة، بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩٢٤م: «كل الدلائل تشير إلى أن الغزاة أظهروا تعصباً دينياً شديداً فى تعاملهم مع ضحاياهم الذين كانوا فى نظرهم كفاراً أو مشركين»^(٣). وتظهر البرقيات التى كان يبعث بها ابن سعود إلى حافظ وهبه مدى سعادته لما كان يحدث من مذابح.

ففى برقية بتاريخ ١٥ صفر ١٣٤٣هـ (سبتمبر ١٩٢٤م) قال «حالاً وفد علينا بشراء الإخوان، أهل الغطف»^(٤) يبشروننا بما منّ الله به من عزهم وسلامتهم.. إلخ^(٥) وفى برقية تالية، قال: «أحوالنا جميلة.. حالاً وردت علينا بشائر جندنا الذى يحاصر الطائف.. إلخ»^(٦). ولم تكن الطائف وحدها التى تعرضت لمذابح الإخوان، بل كانت هناك مذبحه أخرى شهدتها قرية «العوالى» القريبة من المدينة المنورة^(٧) كى تسلم بنفس الكيفية التى سلمت بها شقيقتها مكة.

ويكشف فيلبى عن دوره، بقوله: «إنه ذهب إلى «رايح» حيث التقى بالأمر محمد (أبى شربين) النجل الثالث لابن سعود، وهو فى طريقه إلى المدينة، التى سلمت يوم ٥ ديسمبر ١٩٢٥م^(٨) بعد أن أطلق الإخوان بعض الطلقات على قبة المسجد النبوى طبقاً للتقرير الذى بعث به المستر «جوردان» بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٩٢٥م^(٩).

(١) أمين الريحاني، الرسائل المتبادلة مع الملك عبد العزيز آل سعود، ص ٦٤.

(٢) حافظ وهبه، نفس المرجع، ص ٢٧٥.

(٣) FO. 371/ 10014 – E 8654/ 7624/ 91.

(٣)

الجزيرة العربية فى الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٥٢١.

(٤) الغطف هجرة قبيلة عتيبة.

(٥) حافظ وهبه، خمسون عاماً فى جزيرة العرب، ص ٢٣٤.

(٦) نفس المرجع، ص ٢٣٩.

(٧) صلاح الدين المختار، تاريخ الملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها، ج ٢، ص ٣٨٢.

Philby, Arabian Jubilee, P. 76 – 77.

(٨)

FO. 371/ 10809 – E 5530/ 10/ 91, Sept. 11, 1925, Jeddah Diaries, Vol. 2, P. 331.

(٩)

وفى ذلك يقول ديكسون إن سقوط المدينة قد أدى إلى سقوط جدة حيث تنازل الملك «على» عن العرش^(١) وغادرها إلى بغداد يوم ١٤ ديسمبر ١٩٢٥م، بعد أن سلم البلاد للمعتمد البريطاني^(٢) الذى قام بدوره بتسليمها إلى ابن سعود الذى دخل جدة يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٢٥م^(٣).

وهذا المشهد الأخير كان بالغ الدلالة، إذ كشف للإخوان بطريقة عملية ما كان يخفيه عنهم إمامهم طيلة العشر سنوات الماضية، فبينما كان يتصل بالإنجليز فى مغارات الأحساء، أو بواسطة موظفين غير نجديين، فإنه الآن، يتصل بهم مباشرة وفى العلن.

ثورة الإخوان:

يمكن القول إن حركة الإخوان قد نشأت وهى تحمل بذور معارضة للحكم السعودى، فالحركة قامت بمبادرة من جماعات الإخوان الأول، وبمعزل عن الإرادة السعودية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن السجل التاريخى لقبائل مطير، وعتبة، والعجمان حافل بالصراع ضد السعوديين منذ الإمارة السعودية الأولى، وحتى الدولة التى أسسها ابن سعود، مرورًا بالإمارة الثانية التى أسسها فيصل بن تركى.

ومن جهة ثالثة، فإنه وبالرغم من الدور العسكرى الكبير الذى قام به زعماء الإخوان، ورغم أنهم هم الذين اقتحموا أقاليم شبه الجزيرة العربية وليس ابن سعود^(٤) فإنهم حرموا من ممارسة أى دور سياسى، أو إدارى فى النظام السعودى.

كما شعر الإخوان بأن ابن سعود قد خدعهم، وأنه استغل حركتهم الدينية لتحقيق مآمعه، ولتدعيم مركزه فى شبه الجزيرة العربية^(٥) وأنه بشحنه لهم ضد سكان الأقاليم قد ورطهم مع سكانها، مما أساء إلى سمعتهم.

Dickson, Ibid, P. 285.

(١)

FO. 371/ 11442 – E 367/ 91, Vol. 2, P. 359, J. D., P. 359.

(٢)

L/ P & S/ 10/ 115 – E 363/ 11/ 115, J. D, P. 365.

(٣) أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، ص ٥٥٥.

(٤) مذكرات جلوب باشا، ص ١٣١.

(٥) عبد الفتاح حسين أبو عليّة، تطور المجتمع السعودى فى عهد الملك عبد العزيز آل سعود، رسالة دكتوراة

(جامعة القاهرة ١٩٧٧م) ص ١٣٠.

ومن جهة رابعة، فإن ابن سعود بإعلان نفسه ملكاً، يوم ٨ يناير ١٩٢٦م، وتخليه عن لقب الإمامة^(١) قد أثار غضب الإخوان، لأنه طالما قام بتحريضهم ضد الشريف حسين، بعد إعلان الأخير نفسه ملكاً عام ١٩١٦م، بدعوى أنه يشرك نفسه مع الله باتخاذ أحد أسمائه^(٢).

ومما يقال، في هذا الصدد، أن جماعة من الإخوان دخلوا على الملك عبد العزيز، وهم شاهرون سيوفهم، مهددين بقتله إن لم يتخل عن اللقب.. وأنه وعدهم خيراً، ولكنه بعد خروجهم، هاجم الإخوان، ووصفهم بالجهل والتخلف، واسترسل في التشنيع بهم^(٣). ومما يذكره الجنرال كلايتون، ضابط المخابرات البريطاني المعروف، والذي زار الملك وقتها، أن الإخوان عابوا على الملك فرض رسوم وضرائب على الحجاج، وتحصيله رسوم جمركية على مواد محرمة، كالسجائر وغيرها، ولكن انتقاداتهم الأكثر شدة له كانت بسبب تعامله مع الإنجليز^(٤) وخضوعه لإملاءاتهم^(٥).

وكان هؤلاء يتابعون الموقف عن كثب، إذ كتب المقيم السياسى فى الخليج، «مور» J.C. More لوزير المستعمرات برقية بتاريخ ٢٣ أكتوبر ١٩٢٦م جاء فيها: «إن هناك حالة من التوتر تسود علاقات ابن سعود بزعماء الإخوان الثلاثة: فيصل الدويش (شيخ قبيلة مطير) وسلطان بن بجاد (شيخ قبيل عتيبة) وضييدان بن حثلين (شيخ قبيلة العجمان)»^(٦). واتهم فيلبى، الزعماء الثلاثة بأنهم حاولوا وضع ابن سعود فى مأزق حرج أمام مسؤولياته تجاه الإنجليز^(٧) وعليه، فقد قرر الملك تسريح الإخوان وتشكيل قوة أخرى لحفظ الأمن فى البلاد^(٨).

FO. 371/ 11442 – E 1399/ 367/ 91.

(١)

فهد القحطاني، زلزال جهيمان فى مكة، ص ٤١.

(٢) فهد القحطاني، نفس المرجع، ص ٤١.

ناصر السعيد، تاريخ آل سعود، ص ٢٥٩.

(٣) فهد القحطاني، نفس المرجع، ص ٤١.

Clayton, K. C. M. G, An Arabian Diary, PP. 265.

(٤)

Dickson, Ibid, P. 285.

(٥)

FO. 371/ 11442 – E 6298, Oct. 23, 1926.

(٦)

Philby, Saudi Arabia, P. 263.

(٧)

FO. 371/ 11442 – E 5409/ 367/ 9, Sept. 3, 1926, J. D. Vol.2, P. 403.

(٨)

وعلى هذه الخلفية عقد الإخوان مؤتمراً فى الأوطاوية فى نهاية عام ١٩٢٦م، حضره الزعماء الثلاثة^(١) كما انضم إليهم «فرحان بن مشهور» عن قبيلة الرولة^(٢) وبعثوا برسالة إلى الملك، الذى كان فى مكة. تضمنت عبارات قاسية، فوصفوه بالغرور، والأناوية، وأنه خان العهد والدين.. وذكروه «بأنهم لم يحاربوا معه إلا لنصرة الدين، وفى سبيل الله العظيم لا من أجل إحلاله محل الحسين كملك عظيم»^(٣).

وأقسم الزعماء المجتمعون بالوقوف صفًا واحدًا فى وجه ابن سعود^(٤). يقول الجنرال جلوب، إن الدويش، وسلطان بن بجاد، وضيوان بن حثلين قد قرروا الإطاحة بابن سعود، وتنصيب أنفسهم حكامًا على نجد، والحجاز، والأحساء^(٥).

وهو تقسيم منطقى يتفق وتوزيع القبائل، ومناطق نفوذ كل شيخ من الشيوخ الثلاثة^(٦). والواقع فإن الإخوان، بعد احتلالهم للحجاز، كانوا، فى أوج قوتهم، وكانوا الأكثر ديناميكية^(٧) وكانوا يستندون إلى رصيد حربى هائل، وكانوا فى وضع يمكنهم من الوقوف فى وجه الملك وتحديه، ولأن القبائل، عمومًا، تمجد القوة، فإنها كانت على استعداد للانضمام للإخوان ورفض سلطة الملك عبد العزيز^(٨) الذى وصف أحد المؤرخين، موقفه «بأنه كان أدق من الشعرة وأحد من السيف، ذلك أن روح النعمة عليه قد شملت أنحاء البلاد»^(٩). وكما يضيف ديكسون، فإن الشعور بالعداء ضده قد تعدى الإخوان، والقبائل، إلى بعض أفراد العائلة السعودية ذاتها، لقد كان هناك خطر حقيقى، خاصة بعد أن طلب فيصل الدويش، وسلطان بن بجاد من ابن سعود إثبات إيمانه بالله بإعلان الجهاد ضد الإنجليز^(١٠).

Wahba, Sheikh Hafiz, Arabian Days, PP. 137. (١)

مجلة صوت الطبيعة، عدد ديسمبر ١٩٧٣م، ص ٢٣. (٢)

Armstrong, H. C, Ibn Saud, PP. 165. (٣)

Dickson, Ibid, P. 286. (٤)

Globb, War in the Desert, PP. 232. (٥)

Habib, Ibid, P. 128. (٦)

Ibid, P. 117. (٧)

(٨) مذكرات جلوب باشا، ص ١٣١.

(٩) صلاح الدين المختار، نفس المرجع، ص ٤٣٨ - ٤٣٩.

Dickson, Ibid, P. 295 - 296. (١٠)

نفس المرجع.

دور الإنجليز في تدمير حركة الإخوان:

ما أن استبدلت الحكومة البريطانية معاهدة الحماية عام ١٩١٥م بمعاهدة جدة، التي وقع عليها الملك عبد العزيز يوم ١٧ سبتمبر ١٩٢٧م^(١) حتى هاجم الإخوان مخفر «البوصية» على الحدود السعودية - العراقية يوم ٥ نوفمبر، من نفس العام، وقتلوا كل من كانوا فيه^(٢). وكان ممثل بريطانيا في جدة «استون هوربيرد» قد أخبر حكومته بمعارضة الدويش لإقامة أية مخافر عسكرية على الحدود، بمذكرة بتاريخ ١٧ أكتوبر^(٣) وكما يوضح ديكسون فإن الدويش، الذي يرفض إقامة الحدود الهندسية، شن حملة دعائية مكثفة ضد الملك، بدعوى أن وجود المخفر لهو الدليل على خضوع ابن سعود للإنجليز.. ولقد بلغ من تأثير الحملة أن القبائل أخذت تستحث بعضها للجهاد ضد العراق على اعتبار أن الإنجليز هم الذين يتولون الدفاع عنه^(٤).

ومما يذكره جلوب باشا^(٥)، الذي كان مسئولاً وقتها عن مخفر البوصية «إن غارات الإخوان لم تتوقف، وقد وصلت إحدى هذه الغارات إلى موقع لا يبعد سوى ٢٥ ميلاً عن قاعدة القوات الجوية في «الشعبية» وأنه لو واصل الإخوان تقدمهم لكان في إمكانهم تدمير تلك القاعدة برمتها»^(٦).

والواقع، فإن قيام الإخوان بتلك الغزوات على نطاق واسع، كان تحدياً للإنجليز، ووضع الملك في موقف حرج، فهو إن استنكر أعمال الإخوان يكون بذلك قد ظهر بمظهر المتساهل في حقوق بلاده، وإن أيدهم يكون قد أخل بالتزاماته مع الإنجليز^(٧). إذ تنص المادة السادسة، من معاهدة جدة، على التزامه بعدم التعرض للمحميات والإمارات والمشايخات التي لها ارتباطات ببريطانيا، أو كان لبريطانيا نفوذ فيها.

_____، The Arab Desert, PP. XXIV. (١)

_____، Kuwait... P. 287 (٢)

فاسيليف، العربية السعودية، ٣٣٠ - ٣٣١.

FO. 371/ 12250 - E 4389/ 644/ 91, Oct. 17, 1927. J. D., Vol. 2, P. 473. (٣)

Dickson, Ibid, P. 285 - 287. (٤)

(٥) كان وقتها برتبة ميajor، وكلف بتأمين الحدود النجدية - العراقية منذ عام ١٩٢٠م.

(٦) مذكرات جلوب باشا، ص ١٣١.

(٧) مجلة صوت الطليعة، نفس العدد، ص ٢٥.

وطبقاً لمصدر سعودي، فإن الملك بعث إلى المندوب السامي البريطاني في بغداد، والحكومة العراقية برسالة تحمل استنكاره لما حدث^(١). كما بعث برسالة أخرى، تحمل نفس المعنى، للحكومة البريطانية^(٢) التي سيطرت عليها حالة من القلق.

ودلينا على ذلك قيامها بتكليف المعتمد في جدة بتعيين جواسيس Gossips لمراقبة الإخوان^(٣) الذين تردد عنهم أنهم كانوا يخططون للانطلاق نحو فلسطين. وفي هذا الصدد يقول ديكسون: إنه لما زار ابن سعود في الرياض، بادره بقوله: إن الصعوبة هي في رعايانا العرب وقبائل الإخوان.. فبالنسبة لقضية فلسطين فإن حواسهم في عيونهم فقط، ولا يستطيعون النظر أبعد من ذلك قيد شعرة، وهم يلومونني لعدم وضوح موقفى من تلك القضية، ولإطاعة أوامر الإنجليز^(٤).

ومن جانبه، حذر «هربرت صموئيل» أول معتمد بريطاني في فلسطين من خطر الإخوان على فلسطين^(٥).

وفي رسالة من فلسطين، قال مراسل «الديلي ميل» البريطانية: «إن الرسميين البريطانيين يرقبون بمزيد من الاهتمام التطورات التي تجرى في جزيرة العرب»^(٦). أما وزير الخارجية «شمبرلين» فقد وجه انتقاده لابن سعود لعجزه عن السيطرة على الإخوان^(٧) وعبر عن استيائه قائلاً: «لقد وضعنا فلوسنا عند ابن سعود وها نحن الآن، كما يبدو أمام خطر داهم».

We have put our money on Bin Saud, and now we seem to be in grave danger^(٨).

(١) خير الدين الزركلي، نفس المرجع، ج ٢، ص ٤٧٦.

(٢) FO. 371/ 12242 – E 5616/ 56/ 91, Dec, 30, 1927.

(٣) FO. 371/ 13010 – E 484/ 484/ 91, Dec, 1, 1929.

(٤) Dickson, Ibid, P. 390.

(٥) Habib, Johns, Ibid, P. 109.

(٦) مركز الأهرام للتنظيم والميكرو فيلم، ملف الملك عبد العزيز آل سعود، ج ١، ص ٩٦.

(٧) FO. 371/ 12988 – E 573/ 91. Feb, 8, 1928.

in Letherdale, Clive, Britain and Saudi Arabia (1925 – 1939) PP. 101.

(٨) FO. 371/ 12241 – E 56151/ 91, Dec, 29, 1927.

ومن ثم، عقدت الحكومة البريطانية اجتماعًا يوم ١٧ فبراير ١٩٢٨م لاختيار أحد البدائل الثلاثة^(١).

الأول: فرض حصار بحرى على كل من الخليج، والبحر الأحمر، والتعامل مع الإخوان بنفس الطريقة التي اتبعها محمد على باشا مع الوهابيين فى القرن التاسع عشر.
الثانى: إقامة تحصينات على طول امتداد الحدود.

الثالث: قيام سلاح الطيران الملكى (البريطانى بقصف تجمعات الإخوان، وتدمير «الإرطاوية» ذاتها، التى حولها الدويش إلى مركز قيادة عامة لتحريك القبائل ضد الإنجليز والملك^(٢).

وما أن استقر الرأى على الحل الأخير، حتى كلف قائد سرب الطيران الرابض فى الكويت، بقصف الثوار حتى داخل نجد نفسها^(٣) الأمر الذى أدى إلى إثارة القبائل بما فيها القبائل المتحالفة مع الملك^(٤) وبكلمات حافظ وهبه لأحد الرسميين البريطانيين فى القاهرة: «فإن الملك فقد السيطرة على القبائل.. وأن الوضع جد خطير»^(٥) حتى بلغ الأمر به إلى نقل عائلته إلى الحجاز^(٦).

وقعة السبلة.. ودور فيلبى فى هزيمة الإخوان:

تظاهر الملك بميله للتصالح مع زعماء الثورة، وانطلت الحيلة على الدويش، الذى عقد صلحًا مع الملك يوم ٢٨ مارس ١٩٢٩م، ولما طلب منه الدويش التوسط لعقد صلح مماثل مع سلطان بن بجاد، مع وعد منه بتقديم عطايا ضخمة لسلطان إذا ما استسلم، فإن الدويش طلب من الملك، بواسطة مبعوثه، أن يتعهد بذلك كتابة، وبينما كان الدويش، وسلطان ابن بجاد فى انتظار الرد إذا بالملك يشن هجومًا مباغتًا فجر يوم ٢٩ مارس على السبلة (التي كانت تجتمع فيها قوات مطير، وعتيبة) أى أن الهجوم قد حدث وهما غير مستعدان

CO/ 58117/ 28: 1790/ 130, Feb. 17, 1928.

(١)

Lacey, Ibid, P. 204.

(٢)

Armstrong, Ibid, P. 269.

(٣)

Ibid.

(٤)

FO. 371/ 13010 – E 1999/ 484/ 91, March. 31, 1928. J. D., Vol. 3, P. 11 – 12.

(٥)

Ibid, P. 12.

(٦)

لمواجهته، على اعتقاد منهما بأن هناك مفاوضات سوف تستمر بين الطرفين، لعقد الصلح لبحث كافة القضايا طبقاً للشريعة الإسلامية^(١).

ومما قاله القنصل البريطاني في جدة «إن هناك شعوراً متزايداً بالعداء ضد ابن سعود بسبب لجوئه إلى الغدر في حربه ضد الدويش وابن بجاد^(٢) وبينما أصيب الأول بجراح خطيرة، فإن الثاني تمكن من الفرار، كما فقد الثوار نحو ٢٥٠ مقاتل دون قتال»^(٣).

وهذه أول معركة يخسرها الإخوان منذ نشأتهم^(٤) بسبب المباغته والمفاجأة واختلال التوازن العسكري الذي مال لصالح الملك بفضل جهود فيلبى، الملقب بـ «الملك غير المتوج في الجزيرة العربية»^(٥).

فهو أول من حصل على توكيل شركة «فورد» للسيارات عقب احتلال الحجاز مباشرة، كما يذكر هو نفسه^(٦).

وبحلول عام ١٩٢٩م، كان هناك أسطول كبير من السيارات، للاستخدامات العسكرية مثل سيارات اللورى لنقل الأفراد^(٧) وسيارات ٤ × ٤ (نصف نقل) مثبت عليها مدافع رشاشة^(٨).

ومما قاله ديكسون في هذا الشأن: «إن السيارات قد ضاعفت من قدرة ابن سعود على التحرك، وساعدته في نقل وتموين القوات بالسرعة المطلوبة، كما استطاع بالسيارات أن يأخذ الثوار على حين غرة قبل أن يستعدوا للقتال»^(٩).

وروى المؤرخ أحمد عبد الغفور عطار كيف أن الأمير محمد بن عبد العزيز (أبو شرين) وكان عمره حينئذ لا يتجاوز ١٨ عاماً، قاد رتلًا من السيارات المسلحة فقتل كل المحاربين في دقائق معدودة^(١٠).

Kostiner, Joseph, Making of Saudi Arabia, PP. 135 – 136. (١)

Dickson Ibid, P. 303 – 304.

FO. 371/ 1372/ – E 3449, June 7, 1929. (٢)

Dickson, Ibid, P. 304. (٣)

Lacey, Ibid, P. 213. (٤)

(٥) مجلة صوت الطليعة، عدد مارس ١٩٧٤م، ص ٤٠.

أمين هويدى، كينسجر وإدارة الصراع الدولى، ص أ.

Philby, Arabian Days, P. 258 – 266. (٦)

Izzard, Molly, Ibid, P. 67 – 68. (٧)

Lacey, Ibid, P. 213 – 214. (٨)

Dickson, Ibid, P. 329. (٩)

(١٠) أحمد عبد الغفور عطار، نفس المرجع، ص ٥٩٢ – ٥٩٣.

وفى السياق نفسه قال محمد المانع ، مترجم الملك : «كان من بين قواتنا فى معركة السبلة ، مفرزة من حملة الرشاشات ، فكانت النتيجة حاسمة ففى بضع ثوانٍ كان كل رجال الإخوان المتقدمين قد قتلوا أو جرحوا جراحًا بليغة ، ولما رأى الإخوان الذين لم يصابوا ما حدث شرعوا فى الانسحاب فوراً.. وهكذا انتهت معركة السبلة التى لم تدم أكثر من نصف ساعة»^(١).

وبشهادة الخبير الجيولوجى ، الأمريكى «تويتشيل» الذى كان يقوم بالتنقيب عن الذهب فى «مهد الذهب» فإن فيلبى قد حصل على توكيل شركة «ماركونى» لصناعة الأجهزة اللاسلكية^(٢).

وطبقاً للمصادر السعودية ، فإن تلك الأجهزة قد وضعت فى جميع المدن ، حتى يتمكن الملك من الحصول على آخر المعلومات ، وتوجيه قواته بسرعة إلى أى مكان يحتاج أن يوجهها إليه^(٣) كما مكنته من تنسيق حملاته العسكرية ، وتحقيق السيطرة الميدانية^(٤) وعن طريق تلك كانت المخابرات البريطانية تبعث بتقاريرها عن تحركات الإخوان إلى الملك^(٥) وكان هذا الأخير يقوم بإبلاغ الإنجليز عما يجرى فى الميدان^(٦) ولعل هذا ما يفسر لنا مرافقة المترجم «محمد المانع» للملك فى كل تحركاته أثناء القتال^(٧) حسبما تحدثت عن نفسه .

وهو محمد المانع ، الذى أفادنا بأن الملك كان يدفع ٦ جنيهاً ذهبية لكل رئيس قبيلة ليحارب معه ، كما يدفع ٣ جنيهاً لكل فرد من رجال القبيلة ، وأن الملك قد تمكن ، بهذه الوسيلة ، من تشكيل قوة يتراوح عددها ما بين ٣٠ - ٤٠ ألف مقاتل^(٨) وهذا ما يثير تساؤلنا حول مصدر أو مصادر تلك الأموال؟

Almana, Mohammed, P. 105 – 106.

(١)

Twitchell, Ibid, P. 173.

(٢)

Almana, Mohammed, Ibid, P. 123.

(٣)

Lacey, Ibid, 217.

(٤)

Izzard, Molly, Ibid.

(٥)

Lacey, Ibid.

(٥)

(٦) د. جمال زكريا قاسم ، الخليج العربى ، ص ٩٨ .

(٧) انظر كتاب بعنوان : Mohammed Almana, Arabia Unified

Almana Mohammed, Ibid.

(٨)

ونخلص إلى القول، بأن مقاومة الإخوان للأجهزة اللاسلكية والسيارات لم تكن بسبب رفضهم للتقدم والتطور كما زعم التويجى^(١) ولكن كانت معارضتهم تنطلق من خشيتهم أن يستخدم الملك التكنولوجيا للسيطرة عليهم، خاصة بعد أن تزعزت ثقتهم به. وكما قال الميجور ديكسون فإن الهدف من الحصول على السيارات والأجهزة اللاسلكية كان من أجل السيطرة على الإخوان... راكبي الجمال^(٢).

لقد كان المشهد في معركة السبلة فيه شيء من الدراما.. إذ نرى فيه مجموعة من البدو ليس معهم سوى جمالهم وبنادقهم العتيقة يواجهون طرفاً يمتلك معدات وأسلحة حديثة^(٣). ومن مفارقات المشهد، قيام الإمام السلفي بالتنسيق مع الإنجليز من أجل إبادة تلك الجماعة.

ولقد كشف المعتمد البريطاني عن ذلك التنسيق بقوله لوزير الخارجية: «إن ابن سعود قد أبلغه بقرار الهجوم على السبلة قبل شهر من مواعده»^(٤).

وعلى هذا المنوال سار التنسيق والتعاون أثناء ثورة الإخوان الثانية، حيث قرر الدويش الانتقام من خصمه، بسبب الغدر الذى تعرض له^(٥).

وطبقاً لمصدر سعودي، فإن قبيلة عتيبة تمكنت من فصل الحجاز عن نجد، وكادت المواصلات تنقطع بين مكة والمدينة والخليج^(٦) وما أن انضم فرحان بن مشهور، شيخ «الرولة» حتى كان شمال نجد كله من جبل شمر حتى الخليج فى أيدي الثوار.

وعلى الفور، بادرت الحكومة البريطانية بتزويد الملك بأربع طائرات من طراز D. H. 9 بطياريهما^(٧) وضعت فى جزيرة «تاروت» القريبة من القطيف^(٨) حتى لا يراها الثوار^(٩).

(١) عبد العزيز بن عبد المحسن التويجى، نفس المرجع، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

(٢) Dickson, The Arab Desert. P. XXIII.

(٣) Lacey, Ibid, P. 217.

(٤) FO. 371/ 13728 - E 3449/ 94, June 27, 1929, J. D. Vol. 3, P. 69.

(٥) Dickson, Kuwait..., P. 304.

(٦) حافظ وهبه، نفس المرجع، ص ٢٨٥.

(٧) Philby, Saudi Arabia, P. 309.

(٨) Dickson, Ibid, P. 315.

(٩) FO. 371/ 13228 - E 6289/ 44, J. D. Vol. 3, P. 91.

كما نقلت البحرية البريطانية ١٠,٠٠٠ مقاتل من ميناء جدة إلى ميناء العقير^(١) بعد أن تعذر نقلهم براً بسبب الوضع الذى فرضته قبيلة عتيبة.

هذا فضلاً عن تزويد الملك بـ ٣,٠٠٠ بندقية حديثة مع ٣ ملايين طلقة، طلب الملك تسليمها فى الميناء المذكور^(٢).

أما حكومة الهند فلم تقصر هى الأخرى، إذ تكفلت بإرسال كل ما يطلبه ابن سعود، على حد ما ذكره فيلبى^(٣).

وبالفعل فلقد أرسلت تلك الحكومة الباخرة «فولين فلز» *Fallenfels* محملة بالأسلحة والذخائر إلى ميناء العقير بعد أن أشاعت سلطات الميناء بأن الباخرة محملة ببضائع، وأنها قادمة من ألمانيا^(٤).

ولكن ما هو أكثر أهمية من ذلك، هو قرار حكومة الهند بنقل ضابط المخابرات، الميجور ديكسون من البحرين إلى الكويت، فى تلك المرحلة، ليعمل وكيلاً سياسياً هناك^(٥).

ولد ديكسون عام ١٨٨٢م فى القدس، حيث كان والده نائباً للقنصل البريطانى، وأمه فى الرضاعة من قبيلة عنزة^(٦) نفس القبيلة التى ينتمى إليها ابن سعود.

وربما هذا ما يفسر قول ديكسون أنه لما زار ابن سعود فى الهفوف عام ١٩٢٠م استقبله بهذا البيت^(٧):

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل

ومن جانبه، فإن ديكسون كان شديد الإعجاب بابن سعود وقد عبر عن إعجابه هذا لأمين الريحاني، لدى زيارته له فى البحرين عام ١٩٢٢م بقوله: «ابن سعود رجل عظيم، وقد يكون نظرى فيه نظر من يؤله الأبطال. هو الحاكم العربى الوحيد الذى تمكن من تأديب البدو وعرف كيف يحكمهم.. عنده السيف»^(٨).

FO. 371/ 13728 – E 44, J.D., P. 70. (١)

FO. Ibid. (٢)

Philby, Arabian Jubilee, P. 108. (٣)

FO. 371/ 13728 – E 4713/ 94 – 91, J. D. Vol. 3, P. 79. (٤)

(٥) عين فى الكويت بتاريخ ٢٢ مايو ١٩٢٩م. (Dickson, Ibid, P. 305)

Philby, Arabian Days, P. 115 – 116. (٦)

أمين الريحاني، ج ٢، ص ٢٥.

Dickson, Ibid, P. 333. (٧)

(٨) أمين الريحاني، نفس المرجع.

ومن يقرأ كتابه «الكويت وجاراتها» يجد أنه لم يترك وسيلة إلا اتبعها لإخضاع الثوار، وإرغامهم على الاستسلام للملك عبد العزيز.

ففى شهر يونيه (١٩٢٩م) عقب توليه الوكالة، بعث بتعليماته إلى الشيخ أحمد، أمير الكويت «بألا يسمح للعجمان، وغيرهم من الثوار، بالحصول على المؤن من الكويت، أو أن يأتى أحدهم إليها، وأبلغ ابن سعود بذلك، على حد قوله»^(١).

وأنه لما أرسل ابن سعود احتجاجاً، فى نفس الشهر، اتهم فيه الكويت بتزويد قوات العجمان، وفرحان بن مشهور، بالمؤن والذخائر، فإنه - ديكسون - قام بإجراء تحقيقات دقيقة بنفسه، وأن الشيخ أحمد أثبت بالدليل القاطع أنه ينفذ تعليمات الحكومة البريطانية، المتعلقة بهذا الموضوع، بكل أمانة»^(٢).

وما أن دعا فيصل الدويش الشيخ أحمد للانضمام إلى الثوار، مع طلب السماح له بإقامة مخيم فى «الصبحية» وبالقدوم إلى الكويت لشرح خطته، وكذلك الحصول على مؤن، مع وعد منه بإعادة الأراضى التى اقتطعت من الكويت فى عهد الشيخ سالم، حتى تصدى له ديكسون، وأبلغ الشيخ أن يتعامل مع «مطير» كما يتعامل مع العجمان، وأن يمنع الدويش، أو أيًا من أتباعه، من عبور الحدود، وهدد ديكسون بأنهم سيتعرضون للقصف الجوى إذا ما حاولوا ذلك»^(٣).

ويمضى ديكسون فيقول: «لقد حاول الدويش مرة أخرى، فى يوم ٢٨ يونيه استمالة الشيخ أحمد على الانضمام إلى الثوار، من خلال رسائل بعث بها إليه مع كبار زعمائه الإخوان، وابنه عبد العزيز، ومع أن مضمون الرسائل قد أثر تأثيراً عميقاً فى نفس حاكم الكويت وشعبه، إلا أنه من حسن الحظ، أن الشيخ أحمد ورغم شدة الإغراء ظل أميناً على وعوده التى قطعها لى، بصفتى وكيلاً سياسياً لحكومة صاحب الجلالة».

مشيراً إلى «أن خلع ابن سعود كان أمراً مؤكداً فيما لو انضم الشيخ إلى الثوار، ووقفت الحكومة البريطانية موقف الحياد»^(٤).

Dickson, Ibid, P. 306.

(١)

Ibid.

(٢)

Dickson, Ibid, P. 307 - 308.

(٣)

Dickson, Ibid, P. 308.

(٤)

وكم كان ديكسون سعيداً لأنه «تلقى في ١٠ أغسطس رسائل مطولة من ابن سعود يشكرنا فيها على جهودنا في قطع المؤن عن الثوار»^(١).

ويستمر ديكسون في استعراض نضاله من أجل إخماد ثورة الإخوان قائلاً: «في خلال تلك الفترة أخذ اللاجئون النجديون المقيمون في العراق يتدفقون إلى الكويت في طريقهم إلى الثوار، فصدر الأمر باعتقال، أو إرجاع كل شخص يصل من العراق ويشك في أنه يرغب بالانضمام إلى جيش الثوار»^(٢).

الأمر الذي شجع الملك على أن يطلب من الحكومة البريطانية، بواسطة الوزير المفوض في جدة «أن تقوم الطائرات البريطانية بقصف الثوار داخل الكويت نفسها، كما طلب مساعدة حاكمها عسكرياً حتى يتمكن من تأمين حدود بلاده، وأن يتصدى للثوار إن حاولوا اللجوء إليها، أو الحصول منها على الأغذية والمؤن».

ولم يكتف الملك بقصف الثوار إن حاولوا دخول الأراضي الكويتية والعراقية، بل إنه كان لا يرى مانعاً من قيام الطائرات البريطانية من تعقب الثوار، وقصفهم داخل أراضي نجد نفسها^(٣).

ولأن المجال لا يتسع في هذه العجالة لذكر العمليات البريطانية - السعودية المشتركة (الجوية والبرية) ضد تجمعات الثوار، فإننا نكتفي بالقول إنه كان من المستحيل أن يستمر الثوار في نضالهم، خاصة بعد تعرضهم ونسائهم وأطفالهم وجمالهم ومواشيهم للحصار اللإنساني.

ولقد بلغ الحال بالميجور ديكسون أن هدد الدويش بقصفه من الجو لو ترك جماله تشرب من بئر «السبعية» وبئر «الطويل»، كما طلب من شيخ الكويت وضع حراسة على كافة الآبار حتى لا يتكرر ما حدث^(٤).

واللافت، أن الوزير البريطاني في جدة هو الذي أبلغ وزير الخارجية «شمبرلين» بذلك، ولم نقرأها في كتاب ديكسون ربما لأنها تثير السخرية.

Dickson, Ibid, P. 310.

(١)

Dickson, Ibid, P. 308 - 309.

(٢)

FO. 371/ 13728 - E 4134/ 94L 91, J. D, P. 74.

(٣)

FO. 371/ 13128 - E 6790/ 94/ 91, Dec. 30, 1929. J. D, Vol. 3, P. 94.

(٤)

لقد تعمد ديكسون خلق صعوبات إدارية وتموينية أمام الدويش حتى لا يقوم بمهاجمة نجد لمساندة ثوار عتيبة الذين أنزل بهم ابن سعود هزيمة ساحقة، وهذا ما يستشف من كلامه^(١).

والواقع، فإن هزيمة ثوار عتيبة كانت بمثابة ضربة قاسية للدويش «قائد التجمع القبلي الثوري»^(٢).

ومما ضاعف قسوتها أنها جاءت في أعقاب مقتل ابنه «عزَّيز» في معركة «أم الرضمة» مباشرة^(٣) وبتعبير حافظ وهبه «فإن هاتين الضربتين قد فتت من عضد الدويش وهزته هزاً عنيفاً»^(٤).

ومما قاله ديكسون: «إن انهيار الثورة بدأ يوم مقتل عزَّيز، لقد صار الدويش مكتئباً، جزعاً، فاقدا للأمل، فاقدا الشهية للطعام، متردداً في اتخاذ القرارات»^(٥).

وانتهز ديكسون الفرصة، وأخذ يلح عليه بأن يسلم نفسه لسلاح الطيران، وهذا ما فعله يوم ٣٠ يناير ١٩٣٠م، هو وزميله «سهود بن لامي» بعد أن استسلم «نايف بن حثلين»^(٦) يوم ٩ يناير، ثم نقل الثلاثة إلى مدينة البصرة، ومنها إلى السفينة الحربية «لوبيين» التي كانت راسية في شط العرب^(٧).

أما باقى الثوار فقد تجمعوا في «صفوان» جنوب الكويت، حيث وضعوا تحت حراسة المصفحات البريطانية تمهيدا لتسليمهم لابن سعود^(٨).

ولم يجد ديكسون أى حرج فى اصطحاب زعماء الثورة، والسفر بهم جواً، يوم ٢٨ يناير ١٩٣٠م إلى مخيم الملك عبد العزيز فى «خبارى واضحة» وتسليمهم له^(٩) مع أنهم لاجئين سياسيين تعارف العالم على حمايتهم.

Dickson, Ibid, P. 316 – 317.

(١)

(٢) هكذا لقبه خير الدين الزركلى، نفس المرجع، ص ٤٩١.

Dickson, Ibid, P. 316.

(٣)

(٤) حافظ وهبه، نفس المرجع، ص ٢٨٥.

Ibid, The Arab Desert, P. 95.

(٥)

(٦) تولى زعامة قبيلة العجمان بعد مقتل عمه ضيدان على يد فهد بن جلوى.

Ibid, Kuwait....., P. 319 – 320.

(٧)

Ibid, P. 320.

(٨)

Ibid, 323

(٩)

صحيح أن ديكسون طلب من الملك المحافظة على أرواحهم، ولكن الأخير، كما يذكر ديكسون نفسه: «قد سجن زعماء الثورة بما فيهم سلطان بن بجاد»^(١) في الدياجير التركية المظلمة، تحت الأرض في الهفوف، وانقطعت أخبارهم منذ ذلك الوقت»^(٢). معترفاً «بأن ابن سعود عامل فيصل الدويش، ونايف بن حثلين، وسلطان بن بجاد، وهم ثلاثة من أعظم زعماء الجزيرة العربية، بقسوة بالغة لا داعي لها»^(٣).

الخاتمة:

بعد هذا الاستعراض، يمكننا القول، إن الملك عبد العزيز كان مديناً إلى قوات الإخوان في النجاح الذي حققه في كل حروبه^(٤)، وأنه لولاهم لما كان مُلك آل سعود^(٥). ويمكننا القول أيضاً، إن الدور البريطاني في إخماد الثورة، والذي تبدي لنا بأشكال عدة، قد فاق دور الملك عبد العزيز نفسه، ولولاه لسقط الحكم السعودي. وقد عبر ديكسون عن ذلك بقوله: «لقد أخدمت الثورة بعد أن كلفت مبالغ طائلة من المال والعتاد، ويعود الفضل في انتشال ابن سعود من الوضع السيء الذي كان فيه إلى الحكومة البريطانية، فلولا جهودها في إبقاء الكويت والعراق على الحياد، ووضعها قوة كبيرة على حدود الكويت الجنوبية أجبرت الثوار على الاستسلام، لما تمكن ابن سعود من سحق الثورة ولتعرض هو والبيت السعودي لأخطر النتائج»^(٦).



(١) كان قد أُسر في معركة السبلة، ووضع في سجن المصمك بالرياض.

Ibid, P. 328.

(٢)

Ibid, P. 329.

(٣)

Philby, Saudi Arabia, P. 262 –263.

(٤)

(٥) أمين الريحاني، نفس المرجع، ص ٥٧١.

Dickson, Ibid, P. 329.

(٦)